كيف نميّز الكاهن أو الأسقف الجيّد؟

المتروبوليت أوغسطينوس كانتيوتس (فلورينا)
نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

أحبّائي،

عليَّ أن أعترف بالحقيقة المُرَّة: قليلون هم الذين يُجاهدون من أجل الحفاظ على الإيمان الأرثوذكسيّ. والنزعة الأكثر انتشارًا اليوم هي نزعة ابتعاد الناس البطيء عن الإيمان الأرثوذكسيّ.

سأقول لكم شيئًا لم أقلْه سابقًا. وسيبدو لكم أنّ في ما سأقوله شيئًا من الغرور، إذ إنّي سأحدّد لكم مجموعةً من المقاييس لتقييم الكهنة والمطارنة والإكليريكيّين واللاهوتيّين. ما هي هذه المقاييس؟ ما هي السمات المُميِّزة للكاهن؟ أهي جَمع القرابين؟ أم تأدية خدمٍ جميلة؟ أم حلاوة العظة "النافعة" من على منبر القراءة، وجعل بعض النسوة يدمعن عاطفيًّا من جرّاء سماعهنّ أفكاره التأمُّليّة؟ ما هي السمات المُميِّزة للكاهن ورئيس الكهنة في هذه الأوقات الصعبة؟

إنّ السِّمَتَين اللتين تُميّزان المطران أو الكاهن هما: الروح الجهاديّة، وقول الحقّ من دون خوفٍ أو مواربة. هذا ما قاله الرسول بولس، إنّ كلّ مَن أراد أن يحيا بالتقوى في المسيح يسوع يُصيبُه الاضطهاد (٢ تيموثاوس ٣:١٢). لذا، إن رأيتُم كاهنًا أو لاهوتيًّا أو مطرانًا أو رئيس كهنة غير مضطهَد، بل متنعّمًا بمحبّة الجميع وإكرامهم، فهذا ينطبق عليه كلام الله القائل: "ويلٌ لكم إذا قالَ فيكم جميعُ الناسِ حسَنًا" (لوقا ٦:٢٦). ولتعرِفوا أنّ هذا الشخص لا يسلك في الاتّجاه الصحيح. والأمر نفسه ينطبق على الشخص الذي يسمّي نفسه أرثوذكسيًّا ولكنّه غير مستعدٍّ للاتّجاه عكس التيّار، عكس التيهور (موج البحر المرتفع) الآتي لتدمير العالم. فالكاهن الأرثوذكسيّ يسلك عكس التيّار. كان القدّيس أثناسيوس الكبير رجلًا واحدًا، لكنّه مثل "أطلس"، الإله الأسطوريّ[1]، حملَ الأرثوذكسيّة كلّها على منكبيه، تمامًا كما فعل القدّيسان مرقس الأفسسيّ وفوتيوس، كلٌّ في زمانه. كان عددُ أولئك قليلًا، لكنّ الأرثوذكسيّة لا تستمرّ وتنتصر بالأعداد، بل بالإيمان وحده. ما من شيءٍ في العالم يضاهي قيمة الكاهن الأمين، ورئيس الكهنة الأمين، والعلمانيّ

[1] يشتهر في أساطير الإغريق بحمله قبّة السماء على كتفيه (المعرّب).

الأمين، أرجُلًا كان أم امرأة. لذلك علينا ألّا نفقد الرجاء عندما نلحظ هذه الخيانة للإيمان تحدثُ حولنا في كلّ مكان.

ها هي نصيحتي لكم: لا تقولوا لي "إنّه جيّد، إنّه لاهوتيٌّ مهمّ، وخطيبٌ بارعٌ، وقد افتتح أكاديميّةً أفلاطونيّة، وحديثه رائع!...". بل انظروا إذا كان لديه بعضٌ من شرارة القدّيس مرقس الأفسسيّ أو القدّيس فوتيوس، أو بعضٌ من شرارة بطريرك القسطنطينيّة ميخائيل كيرولاريوس، أو شيءٌ من شرارة بابولاكوس، ذاك الرجل غير المتعلّم الذي وقفَ في وجه العالم أجمع.

أقول هذا وأعي جيّدًا موقعي كيونانيّ وأسقف، فلديّ مسؤوليّاتٌ كثيرة. أنا مستعدٌّ دائمًا للتضحية. وأجرؤ على القول، من على هذا المنبر المقدّس، ربّما للمرّة الأخيرة: كلُّ مَن يُحبُّ الله ويحبُّ الكنيسة لديه إلى جانبه السيّدة العذراء. ولنا أيضًا كلّ هؤلاء القدّيسين الذين جاهدوا وما زالوا يجاهدون في سبيل إيماننا الأرثوذكسيّ. أمّا كلّ مَن هو مع الشرّير، فليجلسْ ويغلق فمه، لأنّ جُبنَه شيطانيّ وتفكيره وحججه شيطانيّة: هؤلاء الناس يسعون لإثباط قلّةٍ تتعذّب وتُروَّع وتُضطهَد من أجل الإيمان بالمسيح.

لنا قَسَمُ الشباب الأثينيّين الشُّجعان شعارٌ دائمٌ. لقد أقسم شبّان اليونان القديمة المقاديم في الأكروبوليس: "أوحيدًا كنتُ أم معي آخرون، سأدافع عن المقدَّسات". وأنا، الجنديّ الصغير، أقول: "أوحيدًا كنتُ أم معي آخرون، سأدافع عن مقدَّسات إيماننا حتّى آخر نقطة دم". أمّا أنتم، فعوضًا عن التصفيق سدًى لكلامي، وعوضًا عن مدحي، أريدكم أن تُصلُّوا بحرارة، لأنّ الأرثوذكسيّين أضحوا قليلين، والحرب مستمرّةٌ وستطول، وسوف نرى أشياء جديدة تحدث. ليس فقط على صعيد اليونان بلادنا الصغيرة، بل في العالم أجمع. لقد ثار الشيطان واستلَّ أسلحته لكي يقتلع الإيمان الأرثوذكسيّ من قلوب المؤمنين. لستُ أعلم ماذا سيحدث. لستُ أعلم أيّ نوعٍ من الاضطهادات سنُقاسي نحن المطارنة الذين توقّفنا عن ذكر البطريرك أثيناغوراس، والإكليريكيّين الداعمين لموقفنا. ولا أدري الى أيّ "جبلِ آثوس" سوف نلتجئ. غير أنّني على يقينٍ من أمرٍ واحد: مهما يحدث، لو تساقطت النجوم وجفَّت الأنهار وانقلب العالم رأسًا على عقب، سأظلُّ مدرِكًا لأمرٍ واحدٍ – وأومن به تمامًا – أنّ الأرثوذكسيّة هي المنتصرة في النهاية.

منذ سنوات، قال لي صديقي الأعزّ الأب كريستوفر كاليفاس، وهو شخصيّةٌ تاريخيّةٌ ومهمّة: "ألا تفهم يا أغسطينوس ما سوف يحدث؟ يستعمل الشيطان جميع الوسائل المُتاحة لتدمير الكنيسة. في الأيّام

الأخيرة، سوف يستعمل سلاحَه الأخير: سوف يُعِدُّ الكهنة والمطارنة فيكونون خاصَّةً له. سوف يعطي المطارنة صلبانًا وعصِيًّا، لكي يُدمِّر الكنيسة بواسطتهم".

Source: Metropolitan Augustinos Kantiotes of Florina. "How to Recognize a Good Priest or Bishop", from *The Christian in the End Times, 2nd Edition.* Retrieved from *Orthodox Ethos*. Link.